2-2- الترجمة في العهد العباسي :

من الصعب أن نتصور في هذه النبذة المختصرة عن تاريخ الترجمة في العصر العباسي، رؤية شاملة لحركة الترجمة وأصدائها لأهمية الظاهرة في حد ذاتها من ناحية، واتساع المدة الزمنية واستغراق علمائه في تيار الترجمة من ناحية أخرى ... ويكفي هنا أن نشير بشكل مبدئي إلى بدايات الطريق من خلال تفسير دلالة الترجمة في العصر العباسي على وجه التخصيص وما تكشفه من ظواهر اتساع آفاق العرب العقلية ممّا انعكس منه جانب أو جوانب في حرصهم ودأبهم على الترجمة وتباريهم في النقل عن المواد الحضارية المتنوعة للأمم الأخرى التي احتكّوا بها. وكان التسامح الخلقي لدى العرب أساسا من دوافعهم إلى تلقي تلك العلوم من شتى منابعها ومصادرها، وهو تسامح امتدّ إلى ما ناله المترجمون أنفسهم من صور التكريم والتشجيع من قبل الخلفاء المسلمين. (عبد الله التطاوي، 1994، ص 67)

ازدهرت الترجمة في العهد العباسي ازدهاراً عظيماً، حيث كان العرب قبل العهد العباسي منشغلين بالفتوحات وبتوطيد دعائم الحكم، وما إن استقرت الأمور حتى جدُّوا وراء العلم لبناء ونشر الحضارة العربية والإسلامية على المستوى الذي يتمشى مع اتساع البلدان المفتتحة ودائرة الخلافة. وهنا لابد من التوجه إلى تنشيط النقل والترجمة بالإضافة إلى العلوم الأخرى. انطلق المسلمون في العصر العباسي سعياً وراء العلم اعتباراً من ولاية الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي كان بارعاً في الفقه متقدماً في علم الفلسفة والفلك وبما يتصل بمعرفة أحوال النجوم، ومشجعاً للعلم والعلماء ولا ينكر فضل سابقه- خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان يلقب بحكيم آل مروان كما ذكر سابقاً.

لقد كثر الجدل في عصر بني العباس بين أصحاب الفرق من المسلمين وبين أصحاب الأديان الأخرى، وكان المسلمون في هذا الوقت على علم بالمنطق اليوناني الذي ابتكره أرسطو ممّا حدا بهم إلى ترجمة الفلسفة اليونانية بعامة ومنطق أرسطو بخاصة، لإيجاد وسيلة راسخة لدعم الرأي، وإسناد الحجة. كما أن اتصال المسلمين خلال هذا الزمن بالمعارف اليونانية أدى إلى تطور أساليب الكلام. ولهذا كانت الضرورة ملحة في استمرار نقل وترجمة علم الكلام عن أرسطو إضافة إلى إتقان الجدل والمحاورات لمجابهة الفرق الدينية الأخرى كالمجوسية وغيرها.

كما لقيت حركة الترجمة في هذا العصر التشجيع المناسب من الخلفاء والوزراء وخاصة في عهد الرشيد والمأمون، كما جرت الترجمة عن لغات عديدة تولاها لبنانيون ومصريون وسوريون ومسلمون أو غير مسلمين ممن كانوا يتقنون لغة أجنبية إلى جانب العربية. وكانت الترجمات ركيكة خضعت لمدة غير قصيرة لكثير من التصحيح والتدقيق والمراجعة غير أن ما لفت أنظار الخبراء الأجانب هو سرعة استيعاب الفلاسفة والعلماء العرب وحتى الأفراد المثقفين منهم جميع المعارف المترجمة، فقد تمكنوا من

تصحيح ما فيها من أخطاء عن طريق العقل السليم والمدارك الواسعة والتجربة العملية. (سالم العيس، 1999، ص 20)

انقسم عهد الترجمة في العهد العباسي إلى مرحلتين رئيسين:

المرحلة العباسية الأولى:

عهد أبو جعفر المنصور:

كان للخليفة أبو جعفر المنصور شغف بالطب والهندسة والفلك والنجوم. وهو أول من راسل ملك الروم طالباً منه كتب- الحكمة- فبعث إليه كتاب أقليدس وبعض الكتب الأخرى، فجمع حوله صفوة من العلماء الذين يتقنون اللغات الأجنبية، وشجعهم على ترجمة الكتب العلمية المنتقاة، وفي سبيل ذلك أشاد ديواناً للترجمة. (سالم العيس، 1999، ص 20) وقد مال الخليفة المنصور إلى التنجيم منذ توليه الحكم معتمدا على المنجمين الفرس، ولم تكن الفلسفة شغله الشاغل. (علي تابليت، 1996، ص 21)

عهد هارون الرشيد:

اهتم الخليفة هارون الرشيد بترجمة الكتب الأجنبية، ووسع ديوان الترجمة الذي أنشأه المنصور لنقل العلوم خاصة التنجيم مستندا إلى مجهودات المنجمين الفرس كالطبري والفزاري وغيرهم. وبعد احتلال عمورية طلب هارون الرشيد من البيزنطيين تسليمه المخطوطات اليونانية القديمة. ومن أشهر الكتب التي ترجمت في عهد الرشيد كان كتاب المجسطي لبطليموس الذي معناه "الترتيب الكبير في علم الفلك". كما أمر الرشيد بتعريب الكتب التي وجدها في أنقرة وعمورية أثناء غزواته (الصوائف) وعهد بها إلى يوحنا بن ماسويه باعتباره كبير المترجمين في عصره. وكان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً عيّنه الرشيد أميناً على الترجمة وعهد إليه ترجمة الكتب القديمة مما عثر عليها في بلاد الروم حين سباها المسلمون.

وما يلاحظ في زمن الرشيد دخول العنصر الهندي الذي هيّأ له الفرس، فأصبح النقل من اللغة السنسكريتية مباشرة بعد أن كانت تتم عن الفارسية وزاحم كنكة الهندي ابن نوبخت في خدمة الرشيد وقام بترجمات إلى العربية. ولم يقتصر التأثير الهندي المباشر في العرب على التنجيم والفلك فحسب، بل انضاف إليه الطب والحساب والموسيقى وغيرها من العلوم، وأظهر البرامكة ميلا خاصا للأطباء الهنود. وقد أنشئت في عهد الرشيد (دار الحكمة.) (أو بيت الحكمة أو خزانة الحكمة) كتتويج لكل المجهودات التي عرفتها فترته. ومن المترجمين الذين خدموا الرشيد وابنه من بعده الحجاج بن يوسف بن مطر الذي نقل كتاب- إقليدس (أصول الهندسة) على مرتين، المرة الأولى في زمن الرشيد وقد عرف

بالنقل الهاروني، والمرة الثانية في زمن المأمون وعرف بالنقل المأموني، وكان عليه المعوّل لأنه الأصح. (سالم العيس، 1999، ص 20)

المرحلة العباسية الثانية:

عهد المأمون:

كان الخليفة عبد الله المأمون قد لبث في سدة الحكم عشرين سنة (١٩٨-٢١٨هـ) وكان رجلاً ذا أفق واسع مستنير حرّ التفكير- محباً للعلم والحكمة، شغوفاً بالدرس والتدقيق والبحث والمناظرة، حيث كان يجمع العلماء ورجال الفكر المستنيرين ليتناظروا أمامه باشتراكه معهم. وقيل أن أحد شروط الصلح يبن المأمون والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يتنازل هذا للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان من بين ذخائرها كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بنقله فوراً إلى العربية .

ويُقال أن المأمون من أنشأ في بغداد -بيت الحكمة- الذي كان يحوي المجمع العلمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة أقام فيها طائفة من المترجمين الذين أغدق عليهم الأرزاق من بيت المال .وكذلك أرسل المأمون البعثات إلى بلاد الروم للحصول على الكتب، وحسب قول صاحب الفهرست: أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات عديدة وقد كتب إليه حول إرسال من يختار من العلوم القديمة وغيرها المخزونة لديه، فأجابه ملك الروم بعد تردد، فأرسل المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلمان صاحب بيت الحكمة فأخذوا مما وجدوا وما اختاروه، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل.

وعلى ما يبدو أن المأمون أرسل أكثر من بعثة إلى القسطنطينية وبلاد الروم للحصول على كتب بحاجة إليها حيث يستفاد من أخبار حنين بن اسحق أيضاً أن المأمون قد أرسله للبحث عن الكتب النادرة في بلاد الروم.

إن ما يميز حركة الترجمة في عصر المأمون أن هذا الخليفة أحسن تنظيمها وجعلها مرجعاً ومنشطاً رسميين في الدولة، وأنفق من أجلها الأموال الطائلة. وقد ساهم في هذا النشاط حنين بن اسحق الذي نال ثقة وإعجاب المأمون وجعله يعطيه من الذهب، كما يروي، زنة ما ينقله ويترجمه من هذه الكتب إلى العربية مثلاً بمثل. (سالم العيس، 1999، ص 23)

توسع التعريب أيام المأمون ليُصبح أكثر إتقانا وتنظيما وتنوعا في الأغراض بفضل ما تميّز به حكم المأمون الذي ربط علاقات مع ملوك الروم ومدهم الهدايا مقابل حصوله على المؤلفات القديمة. حيث

أمر جماعة من أهل العلم والمعرفة بالترحال وانتقاء الصالح منها وجلبها كابن البطريق والحجاج بن مطر ويوحنا بن ماسويه وسلَم. وهكذا جلبوا الكثير من الكتب في جل العلوم وخاصة الفلسفية منها واشتهروا بنقلها وتوافد النقلة على بغداد من بلاد الروم والشام والعراق والجزيرة. وانتشرت مهنة المترجم بالعراق كما كثر النساخ والورّاقون والمصحّحون والمجلدون أعانهم على ذلك توفر الورق. فأصبحت دكاكين الورّاقين والكتاب ببغداد مصدر إشعاع ثقافي راق. ... وهكذا كانت بيت الحكمة دائرة رسمية لخدمة الحاجيات السياسية والمذهبية ثم العلمية، وانتظمت مهنة المترجم وأصبح المترجمون بعد أن كان جلهم يعمل على انفراد يشتركون في بعض الترجمات، وتحصل بعض المترجمين على وظائف رسمية ونالوا الجاه والمال، وتنوعت طرق الترجمة في هذه المراحل حسب حنكة المترجمين للغايات والعلوم أو حسب الحاجيات وأغراض الموضوع المنقول وحقّقت قدرا كبيرا من الدقة والإحكام. واكتسبت اللغة العربية باستعمال هؤلاء الأجانب لها الكثير فغذّاها كل عنصر من اللغة التي ينتمي إليها ونقلوا لها الأفكار والمصطلحات وأتاحوا للعرب أن ينعتقوا من محدودية الموضوع فانتقلت هذه اللغة بعد أن انحصرت في الدين والأدب والخطابة إلى لغة العلوم النظرية والتطبيقية. (علي تابليت، 1996، ص 23)

وقد رتب بيت الحكمة على مثال مكتبة الاسكندرية الشهيرة من حيث الوسائل وطرق العمل والغاية والهدف، وقد استمر هذا البيت في العمل بعد المأمون، وإن كان قد فقد الكثير من نشاطه حتى زمن ابن النديم صاحب الفهرست في منتصف القرن الرابع للهجرة، علماً بأن ابن النديم ألفّ كتابه الفهرست عام ٣٧٧هـ وهذا يدل على أن عمل هذا البيت استمر طوال عهد العباسيين، غير أن هولاكو دمره سنة ٦٥٦هـ عند احتلاله لبغداد.

وقد اقتدى بالمأمون في ذلك العهد وبعده كثيرون من رجال الدولة وأهلها الميسورون فازدهر سوق الترجمة وتوافد على بلاد العباسيين من كل حدب وصوب، من أنحاء الجزيرة والعراق وبلاد الشام وفارس وفيهم من السريان والصابئة والنساطرة واليعاقبة والروم يترجمون الكتب من اليونانية والسريانية والفهلوية والسنسكريتية والنبطية إلى العربية. (سالم العيس، 1999، ص 24)

3 – حركة الترجمة في الأندلس:

حل العرب بشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 711 م واستقروا بها زهاء 7 قرون، وخلال هذه الفترة تقلبت أحوال وأوضاع الأندلس فكانت آخرها فترة حكم "ملوك الطوائف". لا يمكن نسيان الأندلس التي كانت موطناً للنقل والترجمة العلمية أو الثقافية إلى العربية بعد بغداد قبل أن تصبح موطن الكشف والإبداع في ميادين الآداب والعلوم والفنون. فقد رعى حكام الأندلس حركة الترجمة وشجعوا عليها

وعملوا على اقتناء الكتب ونقلها إلى العربية. يحدثنا ابن أبي أصيبعة في حديثه عن ابن جلجل، أن أرميانوس ملك القسطنطينية (٣٤٨-٢٩٣هـ، ٩٥٩-٩٠٥م) عندما أراد أن يرسل هدية إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد في قرطبة جعل من ضمن هديته- كتاب أدسقوريدس الذي يحتوي على وصف العقاقير النباتية باللغة الإغريقية فقدر الناصر هذه الهدية حق قدرها. ولما لم يكن في دولته من يحسن ترجمة هذا الكتاب من اليونانية القديمة إلى العربية، فقط طلب من أرميانوس الإمبراطور نفسه أن يبعث إليه بمن ينقلها، فأرسل هذا الأخير إليه الراهب نقولا الذي وصل قرطبة عام ٣٤٠هـ وقام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ولاسيما ما فيه من أسماء العقاقير. (سالم العيس، 1999، ص 25)

عرفت بلاد الأندلس نشأة مدرسة "طليطلة" للترجمة في القرن 12م، وقد ضمت ثلة من المترجمين الأوروبيين المتميزين جعلت منها أول مدرسة حقيقية للترجمة. ورغم التدهور والانحطاط السياسي الذي عرفته الأندلس، ظل الإشعاع الأدبي والفكري للمجتمع الأندلسي مستنيرا ومشعا لأن اهتمام الأمراء والملوك بالعلماء والمفكرين ظل قائما وذلك بتهيؤ الظروف الملائمة للبحث وبذل جزيل ووافر العطاء لهم وكذا حيازة المخطوطات منهم.

وبعد رحيل العرب، أصبح المجتمع الأندلسي يتكون من اليهود والمستعربين وهم الساكنة التي تعربت إلى حد ما ولكنها بقيت على دينها المسيحي وقد نتج عن هذا التعدد والتنوع السكاني تعدد لغوي أيضا. ومن بين العوامل الرئيسة والمؤثرة في حركة الترجمة بالأندلس هناك سلطة الكنيسة ومؤسساتها والتي مثلها البابا والقساوس وتليها سلطة الدولة وتتمثل في السلطة الإمبراطورية. وقد انقسم جمهور المترجمين خلال القرن 12م إلى مجموعتين المجموعة الأولى وتضم المترجمين "اللاتينيين" وقد حملوا هذا الإسم لأن لغة الوصول لديهم كانت اللاتينية وهي لغة الكنيسة بامتياز آنذاك، وأغلبهم من علماء اليهود الذين كانوا يجيدون اللغة العربية والفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى. وقد كان من مميزات هذه الطبقة اللاتينية أن غالبية هؤلاء المترجمين الذين شاركوا في هذه الحركة لا ينتمون إلى شبه الجزيرة الإيبرية، بل قدموا إليها من أراضي أجنبية وخاصة من إيطاليا والجزر البريطانية كما أن أغلبيتهم كانوا ينتمون إلى الكنيسة وهم نخبة مثقفة قادرة على الكتابة والقراءة وتُتقن لغتين أو أكثر.

ثم هناك مجموعة الثانية تضم المترجمين "الألفونسيون" وقد سموا كذلك لارتباطهم بـ"ألفونسو العاشر" وتخلّل عهده مشروع ترجمي ضخم قام بالسهر عليه ومتابعته وتمويله شخصيا خلال القرن 13 . ورغم غياب المعاجم المزدوجة والقواميس المختصة إلا أن مترجمي ذلك العهد كانوا يلجأون من أجل سد هذا الفراغ إلى التكاثف والتكامل من خلال الاعتماد على العمل الجماعي المثمر بين أصحاب جميع

التخصصات فكانت النتائج مبهرة وإيجابية إلى حد كبير، وقد تجلى ذلك في الترجمات المنجزة والتي كانت على قدر كبير من الأمانة العلمية والجودة الترجمية.

4- الترجمة في العصر الحديث:

يمتد تاريخ الترجمة في العصر الحديث من الحملة الفرنسية بمصر إلى تاريخ نزول المستعمر بها وبالبلاد العربية.

1.4- الحملة الفرنسية (1798- 1801) وحركة الترجمة:

كان لهذه الحملة أثر بارز في الترجمة، لأنها كانت بأشد الحاجة إلى مترجمين دائمين لتلقي الأوامر ونقلها إلى المراجع المختصة، ولترجمة المنشورات وتسجيل المحاضر في الدواوين، هذا من جهة، وللترجمة المباشرة في نقل الحديث بين الحكام والمحكومين من جهة أخرى، وفي بادئ الأمر استقدمت الحملة أناساً غرباء عن مصر أحضرتهم معها حين قدومها من البحارة المسلمين الذين كانوا في جزيرة مالطة. (سالم العيس، 1999، ص 27)

لم تُعمر الحملة الفرنسية بمصر أكثر من ثلاث سنوات، ورغم الفترة القصيرة إلا أنها تركت فيها الأثر المشهود، إذ اصطحبت الحملة مطبعة مجهزة بالحروف العربية ومخابر معدة للبحث والتدقيق. وكانت الحملة تضم عدة اختصاصات في شتى فروع العلوم الحديثة كالكيمياء والفيزياء وعلم الآثار على وجه الخصوص. وجهزّ نابليون مطبعة تعمل بالحروف العربية والفرنسية واليونانية كانت تُسمّى "مطبعة جيش الشرق" أو "مطبعة الجيش البحري" ثم تغيّر اسمها ليصبح "المطبعة الأهلية" غير أن الكاثوليك بروما سبقوا نابليون في تجهيز مطبعة بالحروف العربية للاتصال بالكنائس الشرقية. و من أهم الأعمال التي قامت بها الحملة إقامة "المجمع العلمي المصري" والمدرسة العليا في مصر، وكان ذلك بأمر من نابليون في 22 أوت 1798.

أما أهداف المدرسة فقد وردت في كتاب جمال الدين الشيّال : "تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية" دار الفكر العربي، 1950 ص 66، وتتمثل في ما يلي:

1- تطور العلوم والمعارف في مصر.

2- دراسة المسائل والأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية الخاصة بمصر ونشر هذه الأبحاث.

كما كان في المدرسة لجان للترجمة ولجان للطباعة وبها مكتبة هامة. ويمكن اعتبار هذه المجرسة كأول نظام حديث للبحث والترجمة في المشرق العربي، وبهذه الطريقة ستقام مدارس حربية ومدارس فنية فيما

بعد. ورغم مساعي الحملة وقيام المدرسة العليا، فإن الحملة لم تترك من الأعمال المترجمة إلا أربعة عناوين. وقد نظّم نابليون حملته بإعداد المترجمين المرافقين للحملة في ماي 1798، وكوذن لجنة العلوم والفنون حتى يتسنّى له دراسة الآثار المصرية والتاريخ والجغرافية والحالة الطبيعية لمصر. وكان من بين المترجمين علماء مستشرقون أطلق على بعضهم اسم "مترجمي الجيش لحملة مصر".(علي تابليت، 1996، ص 31)

2.4- حركة الترجمة في مصر والشام وتونس بعد حملة نابليون على مصر:

بعد حالة الركود العلمي والمعرفي، بزغت في الأفق العربي ومضات من نور في مطلع القرن ١٩الماضي. فقد تحقق للعرب في كافة أمصارهم أن العلم هو مصدر القوة، وأن أوروبا بعد ضعفها بالأمس، قد امتلكت الآن القوة المادية والصناعية والعسكرية بفضل تقدم العلوم فيها، وليس ممارستها للاستعمار والسيطرة والغزو، مستغلةً ضعف الشعوب والدول في القارتين الآسيوية والأفريقية، وبسط سلطاتها على هذه الشعوب والدول بحجة تدريبهم وتثقيفهم وتنمية وعيهم للوصول إلى الاستقلال التام، ليس ذلك إلا لاستثمار مواردها الطبيعية واستغلال قواها البشرية، وجعلها سوقاً لمنتجاتها المصنعة، وانتشاراً لنفوذها السياسي وللسيطرة الكاملة. وللحفاظ على السيادة القومية والكرامة الوطنية، ولصون الذات الشخصية والهوية الثقافية، استقرّ في أذهان الطلائع العربية الطامحة إلى الحرية والاستقلال، ضرورة استئناف ما انقطع من تاريخها والتسربل بما يجب من أسباب المنعة والقوة لمعاودة السير في طريق التقدم العلمي، بنشر التعليم وإقامة الصناعات المختلفة لبناء إنسان عربي جديد بعد طول الاستعمار والتعتيم. ولتبني وإبراز فائدة الترجمة نأتي بالإيضاح التالي: يقول علماء النبات أن النبات إذا طعم ولقح بنبات غيره، أنتج ثمراً أحلى من النباتين الأولين، فالتفاح إذا طُعم بالكمثرى جاء بفاكهة جديدة أطيب مذاقاً، ويقول علماء التاريخ والاجتماع والحضارة أن الشعب أو المجتمع أو الدولة التي تعيش وحدها، وتنطوي على نفسها ولا يصيبها أي تطعيم أو تلقيح من حضارة أخرى، يكون مصيرها الضعف والانحلال. وهكذا نجد توالي الحضارات القديمة التي كانت دائماً على اتصال ببعضها. فإذا ضعفت الحضارة القديمة قامت الحضارة اللاحقة، ولهذا لا نجد الحضارة في القديم وقفاً على شعب واحد دون غيره. بل تُشبه الحضارة دوماً الوديعة يتناولها الشعب القوى ليحميها وينمّيها ويزيد فيها. وعند ضعفه وانحطاطه أو كلاله تتحول إلى الشعب الناهض حديثاً الذي تكمن فيه عناصر التجدد

والقوة والإبداع، وهكذا دواليك. إن طرق تطعيم الحضارات بين بعضها والبعض الآخر كثيرة ومختلفة، وأن اختلافها بحسب الزمن والعصر فقد يكون الاتصال بين الحضارات عن طريق، الرحلات أو الهجرة أو الحروب أحياناً، التجارة أو الزواج أيضاً، وغير ذلك من الطرق الحديثة. ولكن نقل العلوم من حضارة إلى أخرى وترجمتها من لغة إلى لغة كانت ولا تزال هي الوسيلة المشتركة والناجحة. (سالم العيس، 1999، ص 31-32)

1.2.4- في مصر:

كان لحركة الترجمة بعد الحملة أثر كبير في النهضة العصرية في الشرق والمغرب العربيين خاصة في عهدي محمد علي وخير الدين في تونس. وقد حظيت الترجمة في مصر، خلال المرحلة الأولى من النهضة الحديثة، باهتمام كبير. فانطلقت في بادئ الأمر، على يد جماعة من السوريين واللبنانيين الذي بذلوا جهوداً عظيمة للتغلب على الصعوبات الناشئة من افتقار اللغة إلى المصطلحات والمدلولات الحضارية، واختلاف التراكيب بين العربية واللغات الأوروبية، بالإضافة إلى جهل المترجمين للعلوم التي ينقلونها، فلما عاد أعضاء البعثات المصرية من الخارج كان عملهم أسهل من عمل أسلافهم.
يمكن أن نعتبر عام ١٧٩٧م،١٨١ه السنة الأولى التي قضى خلالها محمد علي على المماليك، حيث انطلق منها لتنفيذ السياسية الإصلاحية التي تبناها محمد علي. وفي نهايتها أنشأ المدرسة الحربية الأولى لتعليم أولاد المماليك وعلمائهم في القلعة، وكانت اللغة الإيطالية هي التي تدرس في هذه المدرسة. وكان المربون قد استقدمهم من الأجانب كما مر ذكره. وفي عام ١٨٠٩م إلى ١٨١٦م كان محمد علي يرسل البعثات إلى إيطاليا وفرنسا للتبحر في تعلم اللغات الإيطالية- الفرنسية- التركية للتمكن من ترجمة الكتب الأجنبية المطلوب ترجمتها، حتى ومن الحصول على ترجمات أمتن لغةً وأسلم تعبيراً، لم يتوان محمد علي من إلحاق بعثات من شيوخ الأزهر بالمترجمين لمساعدتهم على ضبط اللغة ووضع المصطلحات المناسبة. وصارت مشاركة الشيوخ في عملية النقل تقليداً خضع له جميع المترجمين، ولم يُعفى منه سوى خريجي الأزهر من أعضاء البعثات والخريجين. (سالم العيس، 1999، ص 33)

ففي مصر، أقام محمد علي المدرسة الحربية سنة 1828، والمدرسة الطبية (1827) ومدرسة الطب البيطري (1828) ومدرسة الصيدلة (1830) ومدرسة الولادة (1832). أما أهم المدارس بالنسبة

للترجمة فكانت "مدرسة الألسن" باقتراح من رفاعة الطهطاوي، الذي سافر في بعثة علمية إلى فرنسا سنة 1826 كإمام للبعثة ثم أصبح طالب علم.
واختصت مدرسة الألسن في الترجمة وتكوين المترجمين، وتخرج منها أول فريق سنة 1841 أي السنة التي عرفت نشأة غرفة الترجمة التي كانت تشمل أربعة أقسام هي:
- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الرياضية.
- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الطبيعية.
- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالمواد الاجتماعية أو الأدبيات.
- قلم الترجمة التركية.
فأوفد محمد علي البعثات إلى الغرب فكانت الأولى إلى إيطاليا عام (1809) لاطلاع واقتناء الكتب، ووفّر محمد علي مبالغ هامة لهذا الغرض. كما استجلب 6000 كتابا فرنسيا سنة (1818)، وبلغ عدد البعثات بين (1809 و 1848) سبع بعثات غلب عليها الطابع العسكري. (علي تابليت، 1996، ص 36-37)
وكان محمد علي يرمي إلى غرضين من إرساله البعثات المختلفة إلى أوروبا:
الغرض الأول: أن يكون في مصر جيل من الأساتذة والعلماء تلقوا العلم الأوروبي في أوروبا وبلغاتها ليحلوا بعد عودتهم محل الأساتذة والأطباء والمهندسين والضباط والصُنّاع من الأجانب، ونجح محمد علي في ذلك إلى حد كبير.
أما الغرض الثاني: أن يكون أعضاء هذه البعثات أداة صالحة لنقل علوم الغرب وفنونه وترجمتها إلى اللغة العربية. ".(علي تابليت، 1996، ص 40)

مدرسة الألسن:

أنشئت مدرسة الألسن بداية 1835 باسم مدرسة الترجمة ثم تغيّر اسمها فأصبح " مدرسة الألسن " وكان مقرها السراي المعروفة ببيت الدفتر - دار يحي الأزبكية. وقد أنشئت هذه المدرسة تحقيقا لاقتراح تقدم به رفاعة الطهطاوي لمحمد علي، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات في البداية ثم أصبحت ست سنوات.
أما لغات التدريس فكانت العربية والتركية والفارسية والفرنسية ثم أضيف إليها فيما بعد الحساب والجغرافيا والتاريخ، غير أن العناية كانت للغتين العربية والفرنسية ثم الانجليزية لفترة قصيرة. وكان مديرها

زعيم النهضة العلمية في عهد محمد علي العالم رفاعة الطهطاوي، واتسعت مدرسة الألسن ابتداء من سنة 1941 لتنضم إليها مدارس أخرى.

وقد عمّرت مدرسة الألسن قرابة الخمسة عشر سنة، وبعد تولي عباس الأول العرش سعى سعيه للقضاء على هذه المدرسة بسب الخلافات الشخصية، وتوقفت نهائيا في نوفمبر 1849، ممّا جعل الطهطاوي يسافر إلى الخرطوم للتدريس. (علي تابليت، 1996، ص 39-40)

2.2.4- في سورية :

جاءت كلية الطب في دمشق التي تأسست في عام ١٩١٩م، لتخلف الومضات التي انبثقت على المستوى الجامعي في القصر العيني وفي الكلية الأميركية ببيروت حينذاك، فبدأت التدريس بالعربية منذ افتتاحها واستمرت بنشاط حتى اليوم، بعد أن تبعتها بقية الكليات العلمية باطراد ولاسيما كلية الحقوق. ولقد قامت كلية الطب بدمشق قبل الانتداب وبأمر من الملك فيصل الأول على أنقاض كلية الطب التركية بدمشق المنشئة بأمر سلطاني تركي عام -١٩٠١والتزم أساتذتها منذ افتتاحها، بالتدريس بالعربية وبالترجمة والتأليف لرفدها وخاصة لإيجاد المصطلحات الطبية الملائمة، ويمكن القول بأنهم وفوا بالعهد ووضعوا مؤلفات قيمة بالعربية في مختلف الفروع العلمية.

لقد ركز هؤلاء العلماء بحثهم على إيجاد المصطلحات العلمية القديمة والحديثة لمواكبة التطور العلمي وإغناء اللغة العربية بالمفردات المعبرة حق التعبير. فبالنسبة للقديم استنبطت المصطلحات من الكتب الطبية القديمة مثل قانون بن سيناء- وكامل الصناعة- ومفردات ابن البيطار- وتذكرة ابن داود، وغيره، وبالنسبة للكتب الطبية الحديثة، فقد رجعوا إلى الكتب التي وضعت من قبل سواء في مصر أو لبنان أو في الدولة العثمانية، فأصدروا وترجموا الكتب العديدة، وجعلوا في نهاية كل كتاب جدولاً لمصطلحاته باللغة الأجنبية والعربية.

وقد اشتهر منهم الدكاترة- حسني سبح- ومرشد خاطر- وأحمد حمدي الخياط- ومحمد صلاح الدين الكواكبي- وميشيل الخوري-، وقام كل من مرشد خاطر والخياط والكواكبي بإصدار النسخة العربية لمعجم (كلارفيل) الطبي المتعدد اللغات الذي طبع بالفرنسية والعربية عام .١٩٥٥وبعد الانطلاقة الأولى لكلية الطب في أعمال الترجمة والنقل تتابعت دون هوادة حركة الترجمة في سائر الكليات والمؤسسات العلمية للدولة والخاصة فأغنت خزانة المكتبة العربية بالكتب الكثيرة المتنوعة مما أتاح للمواطنين وطلاب المدارس والجامعات الاتصال ومواكبة تطور العلم والمعرفة، خاصة بعد أن زخرت بطون هذه الكتب بالمصطلحات والمفردات المبثوثة أو المبتكرة أو المشتقة أو المعربة أو الحديثة.

ولابد من ذكر هذه الكليات التي تتابعت بنجاح في تدريس اختصاصاتها العلمية باللغة العربية، مثل: كليات الطب الأخرى- كلية طب الأسنان- كلية الصيدلة- كلية البيطرة- مدارس التمريض- وكليات الهندسة بأنواعها: المدنية والمعمارية والميكانيكية والكهربائية والنفطية والزراعية. وكليات العلوم بأقسامها: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السكان والاقتصاد والحقوق والتجارة والمحاسبة التي تدرس في كليات الآداب والحقوق والاقتصاد والتجارة. هذا بالإضافة إلى المعاهد الفنية أو الحرفية العديدة. (سالم العيس، 1999، ص 42)

3.2.4- في لبنان:

فيما كانت مصر تنعم بالاستقرار السياسي والنشاط العلمي، وكان لبنان في ظل حكم الأمير بشير الثاني، الذي امتد من عام ١٧٨٩م-١٨٤٠م- يترنح بسبب الفتن والاضطرابات، وكان هذا الأمير في صراع مستمر مع مناوئيه في الداخل والولاة العثمانيين في الأطراف، وفي ظل ذلك الاضطراب لم يكن للحركة الثقافية أن تنشأ أو تزدهر، حيث لابد لازدهار الثقافة من الاستقرار السياسي والأمني، وهذا لم يكن متوفراً في ذلك الوقت.

غير أنه في غمرة ذلك الاضطراب كانت الإرساليات الأجنبية في لبنان ساعية في إنشاء المدارس، وقد أحدث وصول المرسلين الأميركيين البروتستانت)إلى لبنان ومباشرتهم بتأسيس المدارس والدعوة لمذهبهم هزة لدى الإرساليات الكاثوليكية، واحتدمت المنافسة بين الجهتين وتميزت بطابعها العملي وبتوخي الغلبة في مجال العلم من جهة وإثبات الطرق العلمية الخاصة بكل منهما. إن أول مدرسة أقامها الأميركيون كانت في بيروت عام ١٨٣٥م، وبعد خمس سنوات تنبهوا إلى ضرورة فتح مدارس إرسالية في الجبل، فأسسوا في قرية عبيّة وسوق الغرب وأخيراً في بيروت. وبالمثل أقام اليسوعيون، بعد عودتهم إلى لبنان عام ١٨٣١م ، المدارس والأديرة في عين تراز وبكفيا وزحلة وبيروت وغيرها. غير أن الحوادث الطائفية عام ١٨٦٠م أدت إلى هجرة الكثيرين إلى الخارج وخاصة إلى مصر وأميركا وإلى الساحل وبيروت.

كما أن الترجمة وإن ركدت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب الاضطرابات فإنها شهدت تحولاً كبيراً خلال النصف الثاني منه، سواء في الإنتاج العلمي أو النقل، وكان العامل الفاعل لهذا التحول هو: انتشار المدارس والصحف والمجلات، التي اعتمدت على الترجمة فتعاظم دور الترجمة

في إصدار الصحف والمجلات خاصة لنقل الأخبار السياسية والحوادث والنزاعات المستقاة من جرائد الغرب أو من المحيط. فأصبحت هذه الجرائد والمجلات أكثر صلة بمجلات الغرب، فنقلت الكتب والمقالات الأدبية والطبية والفلكية والاجتماعية، وأخبار المخترعات والمكتشفات الآثارية والنوادر الطبيعية والقصص القصيرة والطويلة المتسلسلة. إنه ضيق رقعة لبنان وقلة عدد سكانه وضعف مواردهم وسياسة القهر الذي مارسها المستعمر العثماني حال دون إمكان استغلال هذه الانطلاقة الواسعة في لبنان، فقد هاجرت منه الصفوة المثقفة إلى مصر وشاركت المصريين في بناء نهضتهم الثقافية والحضارية. (سالم العيس، 1999، ص 43-44)

4.2.4- في تونس:

أقام أحمد باشا المكتب الحربي بباردو سنة (1837) ثم تلته مدرستين في العلوم الحديثة. كما نجد حمودة باشا قد أمر بترجمة الكتب التي يحتاجها لأجهزة الدولة، وكان حريصا على معرفة النظم الدستورية الفرنسية. فقد ترجم الدستور الفرنسي سنة (1794) كما حرص سنة 1812 قبل سنتين من وفاته على دراسة ومناقشة "قانون نابليون". ويرجع الفضل في إصلاح التعليم في تونس إلى خير الدين الذي لم يترك أي باب يدقه لتطوير مناهج وأساليب التعليم بعد قراءات طويلة لطرق التعليم في أوروبا. " (علي تابليت، 1996، ص 37)

المراجع:

1- **سالم العيس**. *الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية*، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999

2- **علي تابليت**، *نظرة تاريخية عن حركة الترجمة عند العرب*، دفاتر الترجمة، معهد الترجمة (جامعة الجزائر)، العدد 2، 1996

3- **عبد الله التطاوي**، *ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي*، مجلة الفيصل، العدد 216، 1994